هكذا تكلم النص في القرن السابع الهجري عن معارف العوارف علي بن أبي طالب (ع) سر الله في الخلق

م. د جنان فاضل علي

جامعة المثنى/ كلية التربية الأساسية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أعطى كل شيء , والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله, وصلى الله على حبيب اله العالمين خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد(π) , وعلى أهل بيته الغر الميامين الطيبين الطاهرين.

وبعد...

الله (جل جلاله) خلق الانسان ومنّ عليه بالعقل والارادة , فبالعقل يهتدي الى الحق والطريق القويم وينبذ الباطل ويتركه , وتأتي الارادة لتعزز ما أهتدى اليه , والغاية التي من أجلها خلق, وقد جعل الله العقل المميز حجة له على خلقه , ولقد بيّن القرآن الكريم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربانية , قال تعالى: ((والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم))[1] .

ومن البديهي انّ أهل البيت(:) هم طريق الهداية والنور, خزان العلم , ومنتهى الحلم, أبواب الايمان وأمناء الرحمن, وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة , وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على تحمل الصعاب في توعية الأمة وتحريك طاقتها في تصعيد الوعي الألهي , حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود في تنفيذ أحكام الشريعة, مدرسة كبرى جامعة شاملة متكاملة , مدرسة التوحيد ,والمعرفة, والانسانية التي جمعت الفضائل والشمائل في خلقهم واخلاقهم.

إنَّ حُبَّ آل البيت : عقيدة مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه 9 وليس هو مجرد هوى عابر أو عاطفة مجردة أنَّه مبدأ يتعلق بحب القادة حملة الرسالة الذين جعلهم الله تعالى الصفوة المختارة وجعلهم أئمّة يهدون بالحق وبه يعملون وإليه يرشدون ورثة النبي الأكرم 9 خُلقاً وخَلقا ودينا وعلماً, فقد فاقت أخلاقهم جميع البشر, وطهرت نفوسهم تطهيراً, وقد جاءت النصوص القرآنية واضحة وصريحة في تأصيل صفاتهم وأخلاقهم وفضلهم, وانّ سيرتهم ودراسة حياتهم (ع) تمثل العروة الوثقى والمرتكز الحقيقي للإسلام , اذ تبلورت حياتهم (ع)

في الحفاظ على الاسلام بعد وفاة الرسول الأعظم (ص) كأعلام للهداية ومصابيح الدجى, حملة كتاب الله, وأوصياء نبي الله , والتامين في محبة الله , والمخلصين في توحيد الله, والداعين الى الله والمظهرين لأمره , الأئمة الدعاة والقادة الهداة أهل الذكر وأولي الأمر, وانّ من تمسك بهم نجا وفاز ومن تخلف عنهم هلك وخاب.

وانّ دراستنا لأهل البيت (ع) هنا تتمثل بالإمام علي (ع) اذ انه أول ما يمثلهم (ع) بعد رسول الله (ص) وانّ دراسة حياته وسيرته بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة حقيقية لحركة الاسلام الاصيل الذي أخذ يشق طريقه الى اعماق الامة ووجود المذاهب والفرق التي حاولت بطرق وآخر زعزعة الدين الاسلامي وانطماسه.

وكذلك حياته وسيرته استقطبت باهتمام الدارسين والباحثين , وألفت حولها الكتب والدراسات جمة, على الرغم من تعدد المذاهب والفرق الاسلامية التي حاول بعضها الاساءة لشخصه الكريم (ع) والتي تستند الى روايات ونصوص مزيفة فرضها الواقع السياسي لا سيما في العصر الاموي .

والحق لو تأمل كل من يدرس شخصية الامام علي (ع) في كتاب الله تعالى , وتاريخ الاسلام لوجد انه مختار من الله (جل جلاله) اصطفاه واختاره من بين جميع خلقه ليكون خليفة رسول الله 9 والوصي من بعده, ومن المعلوم, أنه اذا كان القرآن هو المدرسة , والمعلم هو رسول الله (9) , فعلي(7) وارث محمد(9) وأقرب الناس اليه, فالإمام (7) غاص في الآيات المكية والمدنية, وأحاط بالسور القرآنية , وأدرك ابعادها وعرف اسرارها فتأثر بها, وأنطلق يدور في فلك قرآني قال صلوات الله عليه : (يا طلحة إن كل آية أنزلها الله على محمد (9) عندي بإملاء رسول الله 9 وخطي بيدي وتأويل كل آية)[٢], فكانت نظرته الى الخلق والخالق نظرة قرآنية قوله(γ) : (ما من آية الا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت في سهل أو جبل أن بين جوانحي لعلما جما سلوني قبل أن تفقدوني فأنكم ان فقدتموني لم تجدوا من يحدثكم مثل حديثي)[٣].

ومن هنا أنصبّ موضوع البحث عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين (7) وما اشتملّ عليه من مناقب وفضائل في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري ,والحق أنه لا يمكن الإلمام بجميع زوايا حياته العطرة (γ)بشكل كامل في هذه الدراسة, ونظرا لكون الشعراء يسيرون بخطوط تكاد تكون متشابهة في الافكار والخواطر , ارتأت أن أقف عند الشاعر ابن أبي الحديد في القصائد السبع العلويات انموذجا في تجسيد تلك الفضائل والمزايا , وقد تناول هذا البحث (هكذا تكلم النص في القرن السابع الهجري عن معارف العوارف علي بن أبي طالب (γ) سر الله في الخلق) بمقدمة , ومباحث عدة : وجاء المبحث الأول/ الامام علي (7) دعامة الاسلام, اما المبحث الثاني/ الامام علي (7) سر الله في الخلق, وتناول المبحث الثالث/ الامام علي (7) وصي رسول الله 9, والمبحث الرابع/ معجزات الامام علي (7) واخباره بالمغيبات , وقد تكفلت هذه المباحث في تبيان ما جاءت به هذه الدراسة , وختمت هذه الدراسة بخاتمة ضمت ما توصلت إليه من نتائج , ورفدت هذه الدراسة بقائمة المصادر والمراجع التي قامت عليها هذه الراسة.

المبحث الأول/ الامام علي(7) دعامة الاسلام:

إنّ الله (سبحانه) في سابق علمه وسعة رحمته خلق الخلق ليعّرفهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف احد أحدا, ولما كانت المعرفة تفتضي احاطة العارف بالمعروف والاحاطة بالذات الالهية وفق على ما قرر في ادلة التوحيد , فخلق الله (سبحانه) خلقا أقوياء قادرين على تلقي عنه أوامره وشؤونه ليوصلوها الى دونهم من الضعفاء من خلقه, فكان هؤلاء الاقوياء من الاوصياء الامام علي(7) , لقد كان الإمام علي بن أبي طالب 7 العظيم بمكنوناته النفسية والفكرية معينا من الكمال والفضائل لا حدَّ لأبعادها, إنَّه هبة الله (تعالى) لهذه الأمة مرشداً وهادياً بعد أخيه الرسول الأعظم محمد 9 , إذ كانت شخصيته 7 عقلاً نورانياً لا يشبهُ خلقاً جسدانيا، فصل عن المركب الإلهي واتصلَّ بالروح الإنساني فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما بهِ الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأجلى، وسكن به غمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس(٤).

ومن مظاهر شخصيته 7 بطولاته المشهودة التي صارت مضرب الامثال وأنشودة الزمان في كل بقاع العالم اذ انّ الاسلام قام بجهوده وجهاده, فالإمام علي 7 والشجاعة مفهومان لمصداق واحد، فحين يذكر الإمام علي 7 تتراءى صور البطولة والشجاعة والأقدام، لقد فاقت شجاعة الإمام 7 كل حد، اذ لا يعرف المسلمون سيفا كسيف علي 7 في اطاحته لرؤوس الجبابرة والطغاة , لا ضرب ضربة قط احتاجت الأولى الى الثانية, وإنَّ الدهر مولع بهذه الشجاعة التي لا نجد مثيلاً لها، وكأنّ بالإمام 7 وقد أعدّه الرسول 9 ليدبّ عنه جميع حروبه وغزواته، فقد أسند إليه قيادة الجيوش وجعله رافعاً لواءه ولذلك ينشد ابن أبي الحديد قصيدته البائية التي بلغت عدد أبياتها السبعين بيتاً جسد فيها أحداثاً تاريخية مهمة واصفاً تلك الواقعة مشيداً بطولاته وأمجاد الإمام علي 7 , فيقول ابن أبي الحديد في إعطاء الراية للإمام علي 7:(الطويل)

وللرايـــة العظمـــى وقـــد ذهبـــا بهـــا ملابـــس ذُلٍّ فوقهـــا وجلابيـــب(٥)

ففي هذا البيت يجسد الشاعر ما روي عن الرسول الأعظم محمد 9: بعث رسول الله 9 أبا بكر برايته إلى حصون خيبر يقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله 9: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه، ليس بفرار» فدعا علي بن أبي طالب وكان معصباً على عينيه فأزاح العصابة وعنه وسقا عينه بريقه فبرأتا بالوقت, وقال له: خذ هذه الراية حتى يفتح الله عليك...(٦).

فيرى الشاعر أنَّ هذه الراية لا تصلح إلّا بأهلها الإمام علي 7 فإنها تعلو وتشمخ لحاملها البطل الشجاع وتذل وتهون للذين تخلفوا عن حملها.

وإنَّ مهما أنس ولا أنس للذين تقدما إلى الحرب ثم هربا منها مع علمهما أنّ الفرار إثم ونقيصة فيقول ابن أبي الحديد في ذلك:

ومـــا أنـــس لا أنـــس اللـــذين تقـــدما ومزَّهمـــا والغـــرُّ قـــد علمـــا، حُـــوُب(٧)

هنا يبين الشاعر تخاذل وخوف من الذين طلب منهم الرسول الأعظم ان يذهبوا لمقاتلة الاعداء قبل اعطاء الراية للإمام علي (7)

ويخبرنا الشاعر بفوز الإمام علي 7 يحمل راية الإسلام، مدافعاً عن الحق غير خائف ولا مُتخاذل عن نصرة الرسول 9 والمسلمين، فو الله فاز بالعلى وفازت به وأدرك من الفضل ما لم يدركه من تخلف عنها وهرب، فيقول: (الطويل)

ألـم تخبـر الأخبـار عـن فـتح خيبـر ففيهـا لـذي اللـب الملـب أعاجيـب

وفـــوز علـــي بـــالعلى فوزهـــا بـــه فكـــل إلـــى كـــل مضـــاف ومنســـوب

ففي هذا النص يبين الشاعر احداث الوقعة (وقعة خيبر) , يقف الشاعر مستفهماً عن أخبارها ليوجّه أنظارنا نحوه لما لهذه الوقعة من أحداث تاريخية مهمة خلدتها كتب التاريخ والسير والتراجم، وما بها من أحداث وبطولات وأمجاد تجسدت في شخص الإمام علي 7 قد أذهلت أصحاب العقول عن كنه إدراكها وفهم تفاصيلها ومعرفة أحداثها.

فأول ما يبدأ بخبرنا الشاعر بما يحيط بهذه الوقعة من حصون منيعة وقوية فلقد أعيت تلك الحصون المنيعة ملكي فارس والروم فيقول:

حصـون حصـانُ الفـرج حيـث تبرجـت ومـــا كـــل ممـــتط الجـــزارة مركـــوب

يُنـــاط عليهـــا للنجـــوم قلائـــد ويســـفل عنهـــا للغمـــام أهاضـــيب

وتنهـل للجريـاء وفيهـا ولـم تصـب رذاذاً شُـــم الجبـــال أســـاكيب

وكـم كسـرت جيشـا لكسـرى وقصـرت يـدي قيصـر تلـك القنـان الشـناخيب

وكم من سيد حاول فتح هذه الحصون فأعلّته وقهرته، وكم من شجاع قد أشتدَّ غضبه فأضحى مسلوب المال لما كلفته فتحها من بذل ومشقة , فيقول ابن أبي الحديد:

وكـم مـن عميـد بـان وهـو عميـدها ومن حرب أضحى بها وهو محروب(٨)

وقد بذلت محاولات كثيرة لفتح باب خيبر ولكنها باءت بالفشل، فلم تستطع الجيوش التي نزلت بهذه الحصون لفتحها ولم تستفد أصحابها بشيء ولم تُغنِ كثرتها شيئاً , فيقول:

وارعـــن مـــوّار ألـــمَّ يمورهـــا فلـن يغـن فيهـا جـرٌ مجـرٍ وتكتيـب

ويصور لنا الشاعر قوة هذه الحصون وشدتها بأنها لا تتأثر بنوائب الدهر ونكباته, فيقول:

ولا حـام خوفـاً للعـدى ذلـك الحمـى ولا لاب شـوقاً للـردى ذلـك اللّـوب
وللخطـب عنهـا والصـروف صـوارف كمـا كـان عنهـا للنواكـب تتكيـبُ

ويمضي الشاعر في تصويره لتلك الحصون فيخبرنا بأنَّ حماها لم يضطرب خوفاً من العدى ولا شارفت أرضها على الهلاك بل ظلت آمنة ساكنة, فيقول:

تقاصُـر عنهـا الحادثـات فللـردى طرائـق إلا نحوهـا وأسـاليبُ

ويبين الشاعر أنه مهما انمازت هذه الحصون من قوة وصلابة فلم تقف حاجراً بوجه الإمام علي 7 فعلي 7والشجاعة مفهومان لمصداق واحد، لقد قامت شجاعة الإمام 7 كل حد وإنَّ الدّهر لمولع بهذه الشجاعة التي لا تجد مثيلا لها فيصرخ الشاعر بأعلى صوته ليقول للناس والعالم أجمع بأن علياً 7 قالع باب خيبر بعد أن عجزت الأبطال والجيوش في قلعها :

يـا قـالع البـاب الـذي عـن هـزّه عجـزت أكُـف أربعـون وأربـع(٩)

ففي هذا البيت جسد الشاعر ما اتسم به الإمام علي 7 من القوة واجلى معاني الشجاعة في فتح باب خيبر بيد واحدة ,هذه الباب قد اجهدت الكثير من الرجال في حملها وردها إلى موضعها الطبيعي.

ويمضي الشاعر في ذكر تفاصيل تلك الوقعة ,اذإنَّ أول من لُقي في حصن خيبر بعد قلع الباب مرحب القائد اليهودي الذي يرتجز مفتخراً بشجاعته صوب الإمام علي 7:

قـد علمـت خيبـر أنـي مرحـبٌ شـاكي السـلاح بطـل مجـرب
اطعـن أحيانـا, وحينـا اضـرب اذا الليـوث اقبلـت تلهـب(١٠)

اذا

واستقبله حامي الإسلام 7 قائلاً:

أنّـــا الـــذي ســـمّتني أمـــي حيـــدرة ضـــــرغام آجـــام وليـــث قســـورة
عبـــل الـــذراعين شـــديد القصـــرة كليـــث غابـــات كريـــه المنظـــرة
أكـــيلكم بالســـيف رقـــاب الســـندرة أضـــربكم ضـــربا يبـــين الفقـــرة

و

ومما يبدو أنّ الشاعر لم يغفل عن ما تمتع به خصم الاسلام من الشجاعة وقوة بل أنه بالغ الشاعر في وصف شدة مرحب وبأسه وتلك المبالغة إنما كانت حاجة في نفس يعقوب قضاها، فقائد الاسلام علي (7) متصف بشجاعة وقوة لا مثيل لها فهو لا يقاتل إلا الأبطال من الرجال ولا يفتك إلا بالعظماء, فيقول :

يشـــلهما مـــن آل موســـى شـــمردل طويـــل نجـــاد أجيـــد بعيـــوب
يمـــجّ مُنونـــاً ســـيفه وســـنانه ويلهـــب تـــاراً عمـــدة والأنابيـــب
إذا رامـــه المقـــدار أو رام عكســـه فللقـــرب تبعيـــد وللبعيـــد تقريـــب
فلـــم ار دهـــراً يقتـــل الـــدهر قبلهـــا ولا حتـــف غصـــب وهوبـــا كتـــف مغصـــــــــــــــــــــــــــوب(١١)

ففي هذه الأبيات التي أشاد فها الشاعر إلى شجاعة الإمام علي 7 واقدامه لمقابلة مرحب ودحره, محققاً النصر للمسلمين يتراءى لنا بوضوح التأمل الفلسفي في بلورة القضايا المصيرية ومشيئة القضاء والقدر، فالإمام يحكم على المقدار ولا يحكم المقدار عليه وما يلزم به الإنسان من دفع للمحذور والمقدار هو ما يقضيه الله تعالى ويقدره على العبد وهذا لا إشكال عليه لأنه إنما يدفع قضاء الله بالاستعانة به والتوكل عليه، وبأفعال الخير التي هي سبب لدفع محذور القضاء فقد جاء في دعاء مولانا العسكري 7: [يا من يرد باللطف والصدقة والدعاء عن عنان السماء ما حتم وأبرم من سوء القضاء](١٢).

ويتحنن الشاعر مظهراً الإمام علي 7 تُحنناً بالسؤدد الذي نالته العرب بشخصه الكريم ومنزلته الرفيعة, والذي لم يكن لغيرها من الأمم ,وفائزاً بفوز من الله وكرم لم يصل إليه النبي موسى 7 في مجده ولا النبي أيوب 7 في بلائه إذ يقول:

حنانيـــك فـــاز العـــرب منـــك بســـؤدد تقاصـــر عنـــه الفـــرس والـــروم والنـــوب

فما ماس موسى في رداءٍ من العُلى ولا آب ذكراً يعد ذكرك أيوب

بشخص

ويبدع الشاعر في تصويره لشجاعة علي 7 وما يمثل في فكر وجهاد، ونهج خالد، فالجهاد عنده 7 أعظم العبادات وهو الراحة الكبرى فيقول ابن أبي الحديد لذلك(١٣):

يرى أنَّ طول الحرب والبؤس راحة وأن دوام السلم والخفض تعذيب

فلله عينا من رآه مبارزاً وللحرب كأس بالمنية مقطوب

ففي هذه الأبيات، يتعجب الشاعر من الإمام علي 7 عندما يراه مبارزاً، فعندها تكون الحرب كأساً ممزوجة بالمنون, فالموت الذي هو رزء عند الناس، مرزؤ عند علي 7، إنّه الحياة عند علي 7، فشجاعة الإمام 7 قد حازت درجة عُليا لمفهوم الشجاعة، فيقول ابن أبي الحديد:

جوادٌ علا ظهر الجواد وأخشب تزلزل منه في النزال الاخاشيب

وأبيض مشطوب الفرند مقلد به البيض ماضي العزيمة مشطوب

أجدّك هل تحيا بموتك إنني أرى الموت خطبا وهو عندك مخطوب

ففي هذه الأبيات تتجلى عند الشاعر صور شتى لمعاني الشجاعة عند الإمام علي 7 فهو كالجبل الغليظ في الثبوت والصمود في الحرب وأخف في الجواد المسرعة في هجومه على الأعداء, والقوة وللضرب بالسيف على أعدائه فلم يسلم من سيفه أحد ولم يضرب إلّا ضربة واحدة.

ويمضي الشاعر فيصور حال أعداء الإمام علي 7 في أرض المعركة، ففي ساحة حرب علي يسيل دم الأعداء وتشتبك الرماح والنصال أكاويب تهرق فيها الدماء، فيقول الشاعر:

دماء أعاديك المُدام وغاية الر ماح ضلال والنصال أكاويب(١٤)

ولم يغفل الشاعر وهو يشيد بشجاعة الإمام 7 في تصويره لشجاعة جيش المسلمين، فيقول:

رماها بجيش يملأ الأرض فوقه رواق من النصر الإلهي مضروب

يسدُّه هدىً من الله واضح ويرشده نور من الله محجوب

مغاني الردى فيه فأصيد أشوس وأجرد ذيال ومقاء سرحوب

ومضـــــاء ردف كالحبـــــاب قتيرهـــــا وأســـمر عسّـــال وأبـــيض مخشـــوب

ففي هذه الأبيات التي نهل الشاعر من موروثة القديم في نسجها، يبدع في وصفه لجيش المسلمين القوي الضخم عدة وعدد، ففرسانه من الشجعان، وخيوله من الخيول العربية الأصيلة، إنَّ هذا الجيش أيدّه الله بالنصر وحفه بالرشاد والإقدام.

وبعدها يحاول الشاعر أن ينقلنا إلى وسط أحداث هذه الوقعة الحامية مشيداً بشجاعة وبسالة قائدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب 7، فيقول:

نهـــار ســـيوف فـــي دجـــى ليـــل عُثيـــر فـــأبيض وضـــــاح وأســـــود وغريـــــب
علـــــيٌّ أميـــــر المـــــؤمنين زعيمـــــه وقائـــــده تســـــر المفـــــازة والـــــذيب
فصـــــب عليهـــــا منـــــه ســـــوط بليـــــة علـــى كـــل مصـــبوب الإســـاءة مصـــبوب
فغادرهـــــا يعـــــد الأنـــــيس وللصـــــدى بأرجائهـــــا ترجيـــــع لحـــــن وتطريـــــب
ينـــوح عليهـــا نـــوح هـــارون يوشـــع ويـــذري عليهـــا دمـــع يوســـف يعقـــوب
بهـــا مـــن زواجيـــر الرجـــال صـــواعق ومـــن صـــوب أذيّ الـــدماء شـــآبيب
فكـــم حـــر منهـــا للبـــوارق مبـــرق وكـــم ذلّ فيهـــا للقنـــا الســـلب مســـلوب
وكمن أصحب الصعب الحرون بأرضها وكم بان فيها صاحب وهو مصحوب

ففي هذه الأبيات التي أطال الشاعر فيها أنفاسه، مسترسلاً أحداث هذه الوقعة (وقعة خيبر) استرسالاً موّفقاً في قص أحداثها وأهوالها، فهذه الوقعة – لشدتها – فقد علاها الغبار الكثيف فأسودّ نهارها، ويرف لمعان سيوف المسلمين في أجوائها فلا يكاد يُرى شيئاً سوى تلك السيوف الفاتكة بأعدائها، فجيش أمير المؤمنين القوي الشجاع المدرب والمجهز والمؤيد من الله والمحفوف بالنصر والمستمد قوته من قوة زعميه وقائده أمير المؤمنين 7 الذي صبّ الموت على أعدائه صبا، فخرّت له أعناق أسيادها ذللاً وُذعراً، وباتت حصونها خراباً بعد أن كانت ذا قوة ومنعة وناحوا عليهم نوح يعقوب على يوسف دهراً وامتلأت قلوبهم خوفاً وجُبنا. فيا أعداء الله أتتم مع من تقاتلون؟ فعلي (7) نسر المفازة فعلاً, فقد تحقق النصر على يدي الإمام علي 7 وسُرَّ النبي 9 سروراً بالغاً بهذا النصر المبين الذي أعزَّ الله به المسلمين وقهر أعدائهم اليهود إذ يقول:

تجلّـــى لـــك الجبـــار فـــي ملكوتـــه وللحتـــف تصـــعيدٌ إليـــك وتصـــويب
وللشـــمس عـــين عـــن عـــلال كليلـــة وللـــدهر قلـــب خـــافق منـــك مرعـــوب

ففي هذا النص يفتن الشاعر في تصوير شجاعة الامام 7 وقد أ ظهر الله (جل جلاله) له النصر والتوفيق وهو في هذه الحالة التي يعجز اللسان عن وصفها، فأضحت عين الشمس قاصرة عن اللحاق، وأخفق قلب الدهر رعباً منه.

يستوقفنا الشاعر وقفة يجسد لنا بطولات الإمام علي (7) وأمجاده تجسيدا لا يدع أحدا يشك بذلك , فيقول:

فعـــاين مـــا لـــولا العيـــانُ وعلمـــه لمـــا ارتـــاب شـــكا أنـــه فيـــك مكـــذوب
وشـــاهد مـــرأى جـــلّ عـــن أن يحـــدّه مـــن القـــوم نظـــم فـــي الصـــحائف مكتـــوب

مما يبدو أنَّ الشاعر أمرنا بالمعاينة والمشاهدة بأعيننا ما فعله قائد المسلمين 7 بعدو الإسلام والمسلمين مرحب اليهودي الذي أهوى به نحو الأرض صريعاً بعد أن جعل خيله تعدُو على الجبال فكأنها تظهر كأسراب الحجل (إلا أنها تختلف عنها بأنها ذات أعشاش)، فقد أنهزم الكفر وأندحر بضربة علي7 التي لا تُثنى وبسيف علي (ذو الفقار) الفالق بالحق، فيقول ابن أبي الحديد:

وأصـــلت فيهـــا مرحـــبُ القـــوم مقضـــبا جـــرازاً بـــه حبـــلُ الأمـــاني مقضـــوب
وقـــد غصـــت الأرض الفضـــاء بخيلـــه وضُـــرِّجَ منهـــا بالـــدماء الظنابيـــب
يعاقيـــب ركـــضٍ فـــي الربـــود ســـوابح بُمـــا ثلهـــا لـــولا الوكـــون اليعاقيـــب
فأشـــربه كـــأس المنيـــة أحـــوس مـــن الـــدم طعِّـــيمُ وللـــدم شـــرّيب

وهو بعد يقف حائراً لا يعلم ما في شخص الإمام علي 7 من صفات لم يعهدها في شخص غيره، سيفه إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط ورأيه إلا على الذي به يقطع السيف، إذ يقول:

عُضْـــبٌ تحـــز بـــه الرقـــاب بمـــدّه رأي بعزمتـــه يحـــز المفصـــل(١٥)

وتهز الشاعر عظمة وشجاعة الإمام علي 7 فيحاول أن يثني شخصه الكريم , ولكنه يعتذر منه لأنّ كل حمد يعرف بالمدح إلّا حمد علي فإنَّ المديح لا يستطيع الإحاطة به، وذلك لقصور المدح عن جليل منزلته وعظم قدره، فيقول:

أرى لـــك مجـــداً لـــيس يُجلـــب حمـــدُهُ يمـــدح وكـــلُّ الحمـــد بالمـــدح مجلـــوب
وفضـــلاً جلـــيلاً إن ونـــى فضـــلُ فاضـــل تعاقـــب إدلّاج عليـــه وتأويـــبُ
لـــذاتك تقـــديس, لرمســـك طهـــرة لوجهـــك تعظـــيم, لمجـــدك ترحيـــب

ففي الأبيات يشيد الشاعر بشجاعة وفضل علي 7 وإنَّ فضله لا ينقطع بل يتعاظم ويزيد مع تعاقب الليل والنهار.

المبحث الثاني / الإمام علي(7) سر الله في الخلق:

اشاد القرآن الكريم في كثير من الآيات البينات بفضل أمير المؤمنين (ع) , لقد عهد النبي (μ) الى الامام (ع) بتفسير جميع ما نزل عليه من كتاب الله الجليل , وبيان محتوياته ودقائق اسراره والحق أنه مهما تطور العقل والفكر وما اتسع العلم والمعرفة, لن يدرك العلماء بيان القرآن ودقائق اسراره وابعاده واشاراته الاّ الامام علي(7) , حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق , ولا يسبقه سابق , آتاه الله ما لم يؤت أحدا من العلمين , فالإمام علي (γ) هو أول من أحاط بالقرآن علما , ووقف على مضامينه ومحتوياته بعد الرسول الاعظم (μ) , فهو باب مدينة علم النبي (μ) الذي لا حدود لمعارفه وعلومه, يقول (ص) : (أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها أفنيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب, لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ, وأفنيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الانجيل فيقول: صدق علي ما كذب, لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ, وأفنيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق عليّ ما كذب, لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ, وأنتم تتلون القرآن ليلا ونهارا فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ ولولا آية في كتاب الله عز وجلّ لأخبرتكم بما كان وبما هو كائن الى يوم القيامة...)[١٦] , فالإمام (ع) كان أقرب الناس لرسول الله (ص) منزلة ومقاما اذ كان (ع) من النبي منزلة هارون من موسى, فقد تطبع بأخلاقه, والتزم بمنهجه وسار على أضواء رسالته , ومن هنا لو قلنا أنّ قضية علي(7) هي قضية محمد(9) لم نبالغ بذلك, وإلى تلك الحقيقة يُشير ابن أبي الحديد بقوله:

هـــو النبـــأ المكنـــون والجـــوهر الـــذي تجسـد مـن نـور مـن القـدس زاهـر(١٧)

هنا يبرز لنا الشاعر الحقيقة الالهية في خلقه, الآ وهي أنَّ الإمام علي 7 هو سر من أسرار الله (سبحانه وتعالى) فلا يعلم سره وخبره إلّا الله تعالى.

ويؤكد الشاعر بأنَّ نور الإمامة هي من نور النبوة، لذا فإن نور الإمام علي 7 هو نور الهدى الذي يبدد ظلام الجهل والبغي والظلام، إذ يقول:

ذو النـــــور أن نســـــج الضـــــلال وكفـــاء فهـــو لســـجفها هُتّـــاك(١٨)

ويحاول الشاعر في معرض حديثه عن صفات الإمام علي 7 أنْ يركز على حقيقة هذا النور الإلهي وإيجاد الموجودات فالإمام علي 7 موجود قبل الموجودات ومخلوق قبل أن يُخلق أبو البشر آدم 7 بأربعة عشر ألف سنة، وذلك بما روي عن رسول الله 9 أنَّهُ قال: [كنتُ أنا وعلي نوراً بين الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف سنة](١٩).

ويمعن الشاعر ابن أبي الحديد يذكر طائفة من صفات الإمام علي 7 وشمائله التي تشهد بأنه نور من الله (جل جلاله) وسر من اسراره, إذ يقول:

صـــفاتك أســـماء وذاتـــك جـــوهر يـــرى المعـــالي مـــن صـــفات الجـــوهر
يحـــل عـــن الأعـــراض والايـــن والمنـــى ويكبـــر عمـــا تشـــبيهه بالعناصـــر(٢٠)

يبرز الشاعر ما يتمتع به شخص الإمام 7, فصفات الإمام علي 7 هي اسماؤه التي تلازمهُ ملازمة القريب لا انفكاك منه وأنَّ ذاته من جوهر السماء وليست من جوهر الأرض، فلا شيء يشبها من الجواهر الأخرى، وأما مكانه فليس كمكان غيره، لأنَّ مكانه إما في محراب صلاة، أو معركة جهاد، أو سعي في سبيل الله، وأما زمانه فلا يشبه بين زمانه وزمان الغير، لأنَّ زمانه لا ينقطع إلا في سبيل الله، لذا فإنه أكبر من أن يشبه بالعناصر لأنه نور من الله (جل جلاله).

ويصرح الشاعر بأنَّ الله خلقكم أنوارا, هذه الأنوار هي أنوار هدى وحق وكبر شأن, لذلك ينشد ابن أبي الحديد قائلاً:(الكامل)

متعـــــاظم الأفعـــــال لأهويتُهـــــا للأمـــــر قبـــــل وقوعـــــه درّاك(٢١)

هنا تتجلى معان جمة, فالنفس تتعلق بعالم المثُل وكمال الأخلاق، وتبحث عما في هذا العالم من جماليات تزحم بعضها بعضاً في منولوج منوع من المعاني والصور الخلابة، لتترجم ما يحتويه من رموز غيبية، وخلب عقلي، ورواء نفسي(٢٢)، وهذا العالم من المثل والأخلاق تقلص متلبساً شخصية الإمام علي 7 ووزع سناه كما توزع بلورة صافية ضوء الشمس المنعكس عليها, فبلغ الله به أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين.

ولعظمة الإمام علي 7 وعلو قدره يجعل الشاعر المريخ في سيفه والمرزم والسماك بغرة فرسه، إذ يقول:

فـــي عضـــبه مريخهـــا وبغـــرة الـــ ـــملهوب منهـــا مـــرزمٌ وســـماكُ(٢٣)

فشخصية الإمام علي 7 غزت القلوب واقتحمت النفوس واستوطنت الحنايا بمقدار ما ظهر فيها من شعاع الخالق وما حوّطتها به نعمته واختياره، يقول ابن أبي الحديد :(الكامل)

عـــلّام أســـرار الغيـــوب ومَـــنْ لَـــهُ خلـــق الزمـــان ودارت الأفـــلاك(٢٤)

يتجلى بوضوح هنا عظمة الخالق بما أودعه من سر واعجاز في شخص الامام علي (γ) عظمة التقت فيها شعلة النبوة المقدسة بالمثالية البشرية بما اختصها الباري (عزّوجلّ) من إعجاز في تكوينه روحيا وجسديا ، فكانت خلقتهم وخلقهم ومواقفهم صورة أمينة لما استودعه تعالى فيهم من سر هذا الإعجاز.

ويؤكد ابن أبي الحديد تلك العظمة والاعجاز الالهي بحق الإمام علي 7 إذ يقول:

وعلـــوم غيـــب لا تُنـــال وحكمـــة فضـل وحكـم فـي القضـية فيصـل(٢٥)

وتحير الشاعر بشخص الإمام علي 7 وصفاته حتى أسقُمه التفكير فهو لا يدري أيهما أفضل علم الإمام علي 7 أم كرمه وأيهما أقطع عزم الإمام 7 أم حسامه، إذ يقول:(الكامل)

ولقـــد جهلـــتُ وكنـــتُ أحـــذق عـــالمٍ أغـــرار عزمـــك أم حســـامك أقطـــعُ

وفقـــدت معرفتـــي فلســـت بعـــارفٍ: هـل فضـل علمـك أم جنابـك أوسـع(٢٦)

ويتجه بنا الشاعر ليصور لنا مشهدا مقدسا تتهاوى اليه الملائكة حافين بعرشه متباركين من سناه الأجل الأعظم , ضريح الإمام علي 7 , واصفاً ذلك المكان المقدس الذي, فيقول:

عـــج بـــالغري علـــى ضـــريح حولـــه نـــادٍ لا مـــلاك الســـماء ومحفـــل

فمســـــبح ومقـــــدسٌ وممجـــــدٍ ومعظـــــم ومكبـــــر ومهلـــــل

ففي هذه الأبيات التي تعلوها الروح الإيمانية والمعاني الوجدانية التي تأصل في النفس العشق الإلهي الروحي لهذا السيد المجُلل والمعظم، من مسبح ومقدس وممجد ومعظم ومكبر ومهلل, فملائكة السماء أجمعهم تبارى وتتنافس بأن تهبط لتحل بهذا الحرم الطاهر الشريف المبارك، وتتبرك وتتشرف بأنها قد فازت بهذا الفوز

الجميل.

وينقلنا الشاعر عبر هذه الأجواء الإيمانية ليشاركنا معه لزيارة الضريح الطاهر المكرم، فيشوقنا لزيارته مشوق عاشق ولهان، ظمأ الفؤاد عليل النفس، متلهف للقيا الحبيب، فلا وسيلة تطفئ لهيب الغرام وانتعاش والفؤاد إلا تقبيل تراب قبره الطاهر الذي وسمه الشاعر بالمسك ,وتقبيل عيدانه التي هي من الخشب فيقول:

والـــثم ثـــراه المســـك طيبـــاً واســـتلم عيدانـــــه قُـــــبلا فهـــــن المنـــــدل

ويتجه بنا الشاعر نحو الامام مرشدنا إلى آداب زيارته من حيث التقديس والإجلال والأدب لنفوز ونسعد باستجابة دعواتنا وتنفيس همومنا وتيسير أمورنا فالامام 7 مؤيد من الله (سبحانه وتعالى) ومحفوف بوحي الله المنزل إذ يقول:

وانظـــر إلـــى الـــدّعوات تســـعد عنـــده وجنـــــود وحـــــي الله كيـــــف تنـــــزّل
والنـــــور يلمـــــع والنـــــواظر شُـــــخّصُ والســـــن حَـــــرْسٌ والبصـــــائر دُهّـــــل
وأغضـــض وغـــضَّ فـــثمَّ سِـــرٌّ أعجـــمُ دّفـــــت معانيـــــه وأمـــــرُ مشـــــكل

ففي هذه الأبيات يتراءى لنا بوضوح مراسيم زيارة الأئمة : وما توحيه تلك الشعيرة من

إحياء للقلب ومناجاتها لله (سبحانه وتعالى) فتخضع النفس لخالقها وتبجّل من اصطفاهم

واختارهم لحملة رسالته وجعلهم أئمّة يدعون سراً وعلانية تتجافى جنوبهم عن المضاجع

خشعاً ركعاً لباريها (جل وعلا)، أهل بيت النبوة وموضع الرسالة, ومختلف الملائكة, أبواب الايمان وأمناء الرحمن , وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث /الامام علي 7 وصي رسول الله (9)

اهتمّ رسول الله oاهتماما كبيرا بالخلافة والوصاية من بعده , لأنها من متطلبات اكتمال الدين واذعانا لقوله تعالى: ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا))[٢٧], بل من أهم مقومات بناء الدولة الاسلامية, فهي امتداد لحكمه واستدامة لشريعته, وقد قرنها برسالته في بدء دعوته, ليتخذ من أهل بيته شخصا يوازره على أداء رسالته فيجعله وزيرا وخليفة من بعده, فقد تجلى الإبداع الإلهي والكمال الرباني في شخصه الكريم فهو المثل الأعلى من بعد رسول الله 9 الذي يُقتدى به ويتطلع إليه نفس رسول الله 9 والامتداد الأمثل له، وإنَّ حبه 7 مقرون بحب رسول الله 9 يقول رسول الله 9: «أحبوا الله مما يغدوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[٢٨] .

يقول ابن أبي الحديد بقصيدته[٢٩] الرائية التي بلغت عدد أبياتها ثلاثا وستين بيتاً والتي إستهلها الشاعر بقوله:

لمـــن ظعـــن بـــين الغـــيم وحـــاجر بـــزغن شموســـاً فـــي ظـــلام الـــدياجر

شـــبيهات بيضـــات النعـــام يُقلّهـــا مـــن العـــيس أشـــباه النعـــام النـــوافر (٣٠)

ثم يذكر الشاعر عظمة الإمام علي 7 وأنه وصي رسول الله 9 فيقول:

هنا يبين لنا الشاعر عظم منزلة الامام (7) وقدسيته الجليلة عند الله (جل جلاله) وعند الرسول الأعظم 9 مما جعله يُقرن شخص الإمام علي 7 بشخص الرسول 9، فالإمام 7 وصي الرسول 9 وابن عمه ووراث علمه فهو نفس الرسول 9 ونسخة منه، فهو يماثله في علاهُ وخلقهُ, وإنَّ اقتران ذكر الإمام علي 7 بشخص الرسول الأعظم محمد 9 فيه لدلالة القُربى والصلة الوثيقة، فالإمامة وريثة النبوّة، والإمامة والنبوة يصدران من معين واحد.

ووراث علـــم المصـــطفى وشـــقيقه أخـــاً ونظيـــراً فـــي العُلـــى والأواصـــر

إذ يقول:(الكامل)

الجـــوهر النبـــوي لا أعمالـــه ملـــق ولا توحيـــده إشـــراك

وهنا يتجه بنا الشاعر ابن أبي الحديد ليخبرنا أنَّ الإمام علي 7 والأصل النبوي الذي انبثق منه الإمام علي 7 هو واحد، فصفات النبي 9 نفسها صفات الإمام علي 7، وأخلاقه هي أخلاقه.

واذا كانت حصيلة الاعداد الالهي المباشر لرسول الله (9) ان صارت خلقه القرآن بكل ما فيه من الفضائل والقيم الروحية الرفيعة تجسيدا حيا رائعا في دنيا الواقع , فأنّ حصيلة الاعداد الرسالي من لدن المربي العظيم محمد (9) لعلي(7) صيرته صورة مطابقة له , فكرا, وهديا, وسلوكا, وموقفا, ولذلك ينشد الشاعر مؤكدا بقوله :

ولا كـــان يـــوم الغـــار يهفـــو جنانـــه حـــذاراً ولا يـــوم العـــريش تســـترا([٣١])

ويجسد الشاعر في هذا البيت أحقية الخلافة لأمير المؤمنين علي 7 بما نص عليه الكتاب العزيز في بيعة يوم الغدير ففي هذه البيعة تم إكمال الدين بنصب علي أميراً للمؤمنين قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) بعد ان أعلن النبي 9 تلك البيعة أمام الناس فبايعه الكل معلنين أمرة الإمام 7 الذي هو طهرٌ في الأصلاب الطاهرة وأبو الأصلاب الطاهرة , وكيف لا يكون الإمام علي 7 خليفة الله من بعد رسول الله 9 فقد تحلق بخلق الرسول9 وتربي في حجره وورث علمه, وفداه بنفسه عند مبيته في فراشه في بدء الدعوة وقد نص القرآن الكريم يمدح فعله يقول الباري عزّ وجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ)([٣٢])، فالبذل والعطاء والتضحية بالنفس من أجل أعلاء كلمة التوحيد ونشر تعاليم الإسلام, فالأولى لهذه الشخصية الفذة 7 أنْ تكون الشخصية الثانية في حمل الرسالة, وإلى ذلك يُنشد ابن أبي الحديد قائلاً:

وخلافـــة مـــا إنَّ لـــه لـــو لـــم تكـــن منصوصـة عـن جيـد مجـدل معـدل([٣٣])

ففي البيت يظهر الشاعر أحقية الإمام علي 7 بالخلافة، وإنَّ هذه الخلافة ليست أدعاء من أحد وإنما هي نص من الكتاب العزيز، فلو لم يكن نص بالخلافة لجاز العدول، فكيف وقد حصل النص!.

ويؤكد الشاعر بأن خلافة الإمام7 نصاً من القرآن المنزل فيقول:

وقـل الســلام عليـك يـا مـولى الـورى نصـــاً بـــه نطـــق الكتـــاب المنـــزل

ويمضي الشاعر في إثبات إمامة ووصاية الإمام علي 7 فيقول:(الطويل)

يزاحمـــه جبريـــل تحـــت عبـــاءة لهـا قبـل كُـلّ الصـيد فـي جانـب القـراد

هنا الشاعر قد أجاد في توظيف الحقائق الدينية والتاريخية في إثبات أحقية الإمام علي 7 في الولاية والوصاية، بما أورده في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) وبما ورد عن السنة النبوية الشريفة، فقد ألقي الرسول 9 عبادته على أهل بيته في حديث الكساء المشهور وقوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي حق» والتف جبريل 7 معهم بجانب الكساء وقال وأنا منكم», لذا فهو يتعجب من هؤلاء القوم الذين أخروا الإمام 7 عن منصبه وأنهم مهما حاولوا من نفاق وبغض يبقى مكانه بالأعلى وأنهم في الدرك الأسفل فيقول:

عجبـاً لقـوم آخـروك وكعبـك العـالي وخـــدّ ســـواك أفـــرع أســـفل

فيلجأ الشاعر إلى أسلوب المحاججة والبرهان، يجعل محل علي7 مرتفعاً ومحل مناوئيهِ منخفضاً فلا مقارنة بينهما فعلي 7 لا يماثله أحد فهو النور، نور الحق واليقين وأعداؤه هم الظلم والضلال، رامياً بهؤلاء المنافقين والمناوئين بعلي 7 بالأفك، فيقول:

قـــد قلـــت للأعـــداء إذ جعلـــوا لـــه ضـــدّا أيجعـــل كالحضـــيض شـــكاك
حاشـــا لنـــور الله يعـــدل فضـــله ظلـــم الضـــلال كمـــا رأى الأفـــاك([٣٤])

المبحث الثالث / معجزات الامام علي (7) وأخباره بالمغيبات

القرآن مدرسة كبرى جامعة متكاملة ذات جوانب متعددة , مدرسة التوحيد ,والمعرفة, والانسانية التي جمعت المسلمين في صعيد واحد وأخرجت الأمة من ذلك الواقع المشحون بآثام الجاهلية ورواسبها ,وصاغت

الفرد يحمل الفكر والذوق والنفس, وخلقت بين الافراد الروابط الاجتماعية وحب التعاون ومساعدة الآخرين, فالقرآن كتاب اخلاق وسياسة وادارة قبل أن يكون كتاب دين وأحكام, وانه مهما تطور العقل والفكر وما اتسع العلم والمعرفة, لن يدرك العلماء بيان القرآن ودقائق اسراره وابعاده واشاراته الا الامام علي(7) , هو العالم المفكر الأديب الاداري الحاكم القائد, واذا نظرنا من الامور الى بواطنها دون ظواهرها , والى معانيها دون اشكالها, والى استمرار حقيقتها بالإجمال لا الى تاريخ جزئياتها بالتفصيل, تبين لنا أن قضية علي هي قضية محمد(9).

ومن المعلوم, أنه اذا كان القرآن هو المدرسة , والمعلم هو رسول الله (9) , وعلي 7 وارث محمد(9) وأقرب الناس اليه, فالإمام (7) غاص في الآيات المكية والمدنية, وأحاط بالسور القرآنية , وأدرك ابعادها وعرف اسرارها فتأثر بها, وأنطلق يدور في فلك قرآني ,فكانت نظرته الى الخلق والخالق نظرة قرآنية (ما من آية الا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت في سهل أو جبل أن بين جوانحي لعلما جما سلوني قبل أن تفقدوني فأنكم ان فقدتموني لم تجدوا من يحدثكم مثل حديثي)[٣٥], وان شخص الإمام علي 7 انتهت إليه كُل سمات العظمة، فمن الطبيعي أن تستوحيه العقول والأفئدة إلهاماً دواماً, وامتدت أنوار قدسيّه أجيالاً وأعقاباً ,ومازالت تمتد إلى ما راء الأزل مُتممة حكمة الإله في سر اختياره وإبداعه, وعلمه في الحكم والقضاء مرآة صافية لشخصه الكريم 7 وترجمة لمبادئه ومُثله، إذ إنَّ جميع الصحابة احتاجوا إليه في علمه وهو لم يحتج إلى أحد منهم لأن علم الإمام علي 7 كان قاطعاً بالحق وحكمه في القضاء لم يصل إليه أحد وقد نص النبي 9 بقوله: [وأنَّ أقضى أمتي علي بن أبي طالب][٣٦]، ومقولة عمر بن الخطاب الشهيرة: (عجزت النساء أنْ تلد مثل علي بن أبي طالب لولا علي لهلك عمر)[٣٧].

وإلى تلك الحقيقة يُشير ابن أبي الحديد، إذ يقول:

وعلـــوم غيـــبٍ لا تُنـــالُ وحكمـــةٌ فصـلٌ وحُكـم فـي القضـية فيصـل(٣٨)

ففي هذا البيت يجسد الشاعر ما يتصف به الامام من مناقب وعلم , فالعقيدة مصبٌ زاخر يبدأ من النبي محمد 9 إلى الإمام علي 7، اللبُ الرسالي الإسلامي الأصيل، وحدة متلاحمة مع معاني الكمال والسمو والعلم، بحيث لا يمكن الفصل بينهما ولو بحدود شعرة، وليس كبيراً على الإمام علي 7 صاحب المناقب والمآثر الجمة من بعد النبي 9أن يتسم بعلم وورع تقوى لم يحظ شخص غيره.

إنَّ العظمة الإلهية إذ تعاظمت بمشيئته وقدرته في عبد من عباده بصورة تتحدى النبوغ والعبقرية حتى تصل إلى درجة (الإعجاز) وقد شاء الله أنْ تتجسد هذه العظمة الخارقة وتتمثل هذه المعجزة بعد تكوينها في

صورة بشرية سماها (عليا) وهو ابن أبي طالب 7 لذلك يشير ابن أبي الحديد, إذ يقول:

والمتُــرع الحــوض المدعــدع حيــث لا وادٍ بفـــيض ولا قليـــب يتـــرعُ(٣٩)

هنا يوضح الشاعر معجزة من معجزات الإمام علي 7 وهو متوجه إلى صفين وقد نفد الماء والحق العطش بأصحاب الإمام علي 7 فأمرهم بان يترقبوا المكان الذي هم فيه فإذا بوجود صخرة عظيمة تلمع فقال الإمام 7: الماء موجود تحت هذه الصخرة، فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء فاجتهدوا بقلعها ولم يقدروا على رفع تلك الصخرة حتى أوى إليها الإمام علي 7 فوضع أصابعه جانب الصخرة فقلعها ورمى بها، فظهر الماء وشرب القوم، وكان أعذب ماء فارتووا منه، ثم أمرهم برد الصخرة إلى موضعها.

وإلى معجزة رد الشمس التي حصلت للإمام علي 7 مرتين مرة بالمدينة في حياة رسول الله (9)، ومرة بالعراق (بابل) بعد وفاة الرسول الأعظم 9، يقول ابن أبي الحديد:

إمـــام هُـــدى بـــالقرص أثـــر فاقتضـــى لـه القرص، رد القرص أبـيض أزهرا(٤٠)

هنا يبين الشاعر معجزة رد الشمس للإمام علي (γ) , بما يروى عن الامام علي (γ) أنه قال : (لما كنا بخيبر سهر رسول الله (μ) في قتال المشركين , فلما كان من الغد وكان مع صلاة العصر فوضع رأسه في حجري فنام فاستثقل فلم يستيقظ حتى غربت الشمس, فلما أستيقظ مع غروب الشمس قلت: يا رسول الله (μ) ما صليت صلاة العصر كراهية أن أوقظك من نومك, فرفع رسول الله (μ) يده وقال: اللهم ان عبدك تصدق بنفسه على نبيك فأرددعليه شروقها , فرأيتها في الحال في وقت العصر بيضاء نقية حتى قمت ثم توضأت ثم صليت غابت)[٤١]تبقى هذه المعجزة الخالدة بعد سيد الأكوان محمد 9 الذي هو معجزة المعجزات مصدر العظمة ناطقة بعظمة الرسالة المحمدية لسيد الاوصياء (7) والتي خلدها التاريخ مدى الدهر.

يقول ابن أبي الحديد مشيراً إلى علم الإمام علي 7 بالمخفيات ودقائق الأسرار:

وذو المعجـــزات الواضـــحات أقلّهـــا الظهـور علـى مسـتودعات السـرائر(٤٢)

يوضح الشاعر هنا معجزة من معجزات الإمام 7 والتي هي أشهر من الشمس وأبيّن من فلق الصبح إذ كان الإمام 7 يدور في أسواق الكوفة، فلعنته امرأة ثلاث مرات فقال لها الإمام يا سلقلقية كم قتلتُ من أهلك؟ قالت: سبعة عشر أو ثمانية عشر، فلما انصرفت قالت لأمها ذلك، فقالت السلقلقية مَنْ ولدت بعد حيض ولا

يكون لها نسل، قالت يا أماه أنت هكذا؟ قالت: بلى(٤٣).

ونجد أنّ الشاعر يتعجب من هذه الأرض التي احتوت على شريف مجد الإمام علي 7 من الحلم والعلم كالجبال شموخاً وعلواً ويكرر تعجبه من هذه الأرض التي لم تتزلزل من هيبة الإمام 7 وعلو قدره بل كيف لا تهيل كالتراب، فيقول:

عجبـــا لهـــذه الأرض يغمـــر تربهـــا أطـــواد مجـــدك كيـــف لا يتزلـــزل
عجبـــا لأمـــلاك الســـماء يفوتهـــا نظـــرٌ لوجهـــك كيـــف لا تهيـــل

ويبدو أنّ الشاعر لم يغفل عما أتسم به الإمام علي 7 من عظمة فهو الحاكم في الدنيا وفي يوم القيامة هو قسيم الجنة والنار, فيقول:

بـــل أنـــت فـــي يـــوم القيامـــة حـــاكمٌ فـــي العـــالمين وشـــافع ومشـــفع(٤٤)

فيبرهن على ذلك بقوله:

مـــا الـــدهر إلا عبـــدك القـــنُّ الـــذي بنفـــوذ أمـــرك فـــي البريـــة مُولـــع

فالدهر هو عبد للإمام علي 7 مولع بتنفيذ أحكامه وأوامره ومنقاد له بأمر الله تعالى كانقياد العبيد لسيده فكيف لا يكون إماماً!!

ويؤكد الشاعر للإمام علي 7 بأن ما نظمه من شعر لم يكن الا بدافع المحبة والإعجاب الكبير به ولم يكن يدافع التكسب المادي , فيقول:

ظننـــتُ مـــديحي فـــي ســـواك هجـــاءه وخلـــتُ مـــديحي أنـــه قيـــل تشـــيب
وقـــال لـــه الـــرحمن مـــا قـــال يوســـف عـــداك بمـــا قـــدمت لـــوم وتتريـــب(٤٥)

ففي هذه الأبيات تتعالى صيحات الشاعر الوجدانية والنفحات الروحانية مليئة بالحب الصادق والنابع من النفس اللوامة وابتغاء مرضاة الحبيب لعلها في لومها تهدأ أو تسكن.

الخاتمة

اتسمت خاتمة البحث بنتائج أهمها:

بعد أن استعرضنا النماذج الشعرية وجدنا أن الشاعر جسد في شخص الامام علي (γ) الاسلام بكل ابعاده, وفي جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية, اذ ارسى قواعد القيم الاسلامية المثلى في واقع الفكر والعقيدة وفي أفق الخلق والسلوك .

وكذلك وجدنا كيف ارتبط الشاعر بالإمام علي 7 ارتباطاً وجدانياً وعقائدياً وفكرياً وإنسانياً فتفاعل معه بكل صدق وإخلاص, وأبرز أبعاد هذه الشخصية وما تحمل من مزايا وقيم رفيعة، وأخلاق عالية ليدل دلالة واضحة على شوق الشعر إلى إحياء تلك الأمجاد الخالدة لتعيش الحاضر وتعمل على إصلاح ما فسد منه، وتوجه قيادة الحياة إلى الالتزام بالطريقة الفاضلة التي يتجاوب مع مبادئ المنهج الإسلامي القويم, وفي الحاح الشاعر في التأكيد بإبراز ملامح العظمة والقوة في شخص الإمام علي 7 ما يعبر عن النكبات وسوء الأحوال السياسية التي داهمت العراق آنذاك وليس إلا بنداء الإسلام وأبطاله لكي يرد إليه نور الحياة.

وحاول الشاعر أنْ يصل الى المتلقي حقائق دينية تمثلت في شخص الإمام علي 7 وإنَّ التمسك بكتاب الله وعترة النبي الأكرم محمد 9 هما أصل الرسالة المحمدية وهما العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد، والعيش في رحاب الحياة الإيمانية السمحاء أعظم حياة، لا يعرف طعمها إلا من ذاق حلاوة الإيمان والتزم بالعروة الوثقى وذلك من خلال اشعاره التي تناول فيها فضل ومناقب تلك الشخصية الالهية والتي تمثل الامتداد الطبيعي لرسول الله 9، فقد خصه الباري (عزّوجلّ) بمنزلة جليلة وقدر عظيم , العترة الطاهرة ومعدن الرسالة وبيت النبوة ومهبط الوحي وأصول الكرم وقادة الأمم, وأولياء النعم وحجة الله على خلقه.

وكما رأينا أنَّ الشاعر وفق في تجسيد الاحداث التي عاصرت الامام (7) اذ أنّه أستنطق التأريخ بعدما قرأ الأحداث والظروف التي أحاطت بالإمام علي 7 فكان واقع متجسد وصوت حقٍ مرتفع، مثلّ صدى ما أراد الإمام 7 بموقفه وأقواله التي رافقت ذلك.

ومن خلال تحليل لبعض النماذج الشعرية للشاعر, وجدنا إن الشعر قد الم بحقائق علمية وسياسية ودينية اكد عليها معارف العوارف (γ) علام أسرار الملك الجبار (جل جلاله) .

وكذلك نلحظ أنَّ الشاعر قد وظّف الحقيقة الدينية في إثبات أحقية الإمام علي 7 في الإمامة والخلافة يضاف الى ذلك أن الشعر في هذه الحقبة قد واكب الاحداث التي داهمت العصر بكل مجالاته السياسية والفكرية والدينية والثقافية وهذا دور الشعر في كل زمان ومكان.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

- أسد الغابة في معرفة الصحابة,ابن الأثير, تح:علي محمد عوض وآخرون, ط٢, دار الكتب العلمية, بيروت,٢٠٠٣م.
- الآمالي, القالي, دار المعرفة, بيروت.
- تاريخ مدينة دمشق, لابن عساكر تح: علي شيري, دار الفكر للطباعة , بيروت ـ لبنان.
- تذكرة الخواص, ابن الجوزي, دار الكتب العالمية, بيروت ., ط١, ٢٠٠٥
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء, للاصبهاني, دار الكتاب العربي, بيروت, ط٢, ١٩٨٠
- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى , أحمد بن عبدالله الطبري, الناشر: انتشارات كلمة الحق,قم,ط١, ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م
- الروضة المختارة, شرح القصائد الهاشميات, القصائد السبع العلويات , صالح علي الصالح,منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت, لبنان,١٩٧٢ م.
- سنن أبي داود, السجستاني, دار الكتاب العربي, بيروت, د.ت.
- شرح نهج البلاغة,لابن أبي الحديد, تح: محمدأبوالفضل ابراهيم,دارالجيل ,بيروت ,ط١ ,١٩٧٨ ,ومحمدتقي شوشتري,قم ,١٣٨٧ هـ.
- فضائل الصحابة,النسائي, تح: فاروق حمادة, الناشر دار الثقافة, ط١, ١٩٨٤م.
- القصائد السبع العلويات, لعبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي, اشرف ووضع فهارسه لجنة التحقيق, دار العالمية, بيروت – لبنان, ط١ ,١٩٩٤ م.
- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب,لابن الأثير, تح: د. نوري القيسي, وحاتم الضامن, وهلال ناجي, دار الكتاب والنشر, جامعة الموصل,١٩٨٢ م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال, علاء الدين علي الهندي, دار المعارف النظامية, حيدر آباد,١٣١٣ هـ.
- لسان العرب, ابن منظور الأنصاري , دار صادر بيروت ,ط١ , ٢٠٠٥
- مسند احمد بن حنبل, دار المعارف, القاهرة, ١٩٧٤ م.
- مناقب أبي طالب, ابن شهرآشوب, تح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف, المطبعة الحيدرية, النجف الأشرف,١٣٧٦ هـ.

الهوامش

١) البقرة :: الآية ٢١٣ .

٢ بحار الانوار ٢٦ : ٤١ .

٣) الآمالي : ٩٨ .

(٤) ينظر: القصائد السمع العلويات: ١٠٤.

(٥) القصائد السبع العلويات: ٢٦.

(٦) حلية الأولياء ١: ٦٢.

(٧) القصائد السبع العلويات: ٢٦.

(٨) القصائد السبع العلويات: ٢١ – ٣٢.

(٩) ينظر القصائد السبع العلويات :٩٦ .

(١٠) القصائد السبع العلويات :١٨ .

(١١) القصائد السبع العلويات: ٢٦ – ٢٧.

(١٢) القصائد السبع العلويات (الهامش)/ ٢٩.

(١٣) القصائد السبع العلويات: ٢٨.

(١٤) أكاويب جمع غير مستعمل لأكواب، وأكواب جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له والكوب هو الكوز المستدير الذي لا إذن له, ينظر: لسان العرب (الالف).

(١٥) القصائد السبع العلويات: ١١٤.

١٦ بحار الأنوار ٩٢ : ٧٨ .

(١٧) القصائد السبع العلويات: ٧٩.

(١٨) القصائد السبع العلويات: ٥٤.

(١٩) شرح نهج البلاغة٢/ ٤٥٠، كفاية الطالب/ ٢٦٠، تذكرة الخواص/ ٥٢، ميزان الاعتدال٢/ ٢٣٥.

(٢٠) القصائد السبع العلويات: ٨٢، الروضة المختارة: ١١١ .

(٢١) القصائد السبع العلويات: ٥٤.

(٢٢) ينظر القصائد السبع العلويات: ٥٥.

(٢٣) القصائد السبع العلويات: ٥٤, المريخ: دموي احمر اللون, الملهوب : الفرس قليل شعر الذنب ينظر : لسان العرب(الميم).

(٢٤) القصائد السبع والعلويات: ٥٤.

(٢٥) نفسه:١١٤.

(٢٦) نفسه: ٩٧.

٢٧ المائدة: الآية ٣ .

(٢٨) أسد الغابة٢/ ١٣.

(٢٩) القصائد السبع العلويات التي خصها في مدائح الإمام علي 7 وأهل البيت :.

(٣٠) القصائد السبع العلويات: ٧٧ .

(٣١) قصائد السبع العلويات: ٤٦، الروضة المختارة: ١٠٨.

(٣٢) سورة البقرة, الآية ٢٠٧.

(٣٣) قصائد السبع العلويات: ١١٤،الروضة المحتارة: ١٥٢.

(٣٤) القصائد السبع العلويات: ٥٥، الروضة المختارة: ١١٣.

(٣٥) أمالي الشيخ المفيد : ٩٨ .

(٣٦) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٤١، كنز العمال٦/ ٣٩٢، مسند أحمد/١٤٠، ١٥٤.
(٣٧) فضائل الصحابة/ ١٠٦٥، سنن ابن داود/ ٣٨٢٣، ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القربى / ١٠١.
(٣٨) القصائد السبع العلويات: ١١٤.
(٣٩) القصائد السبع العلويات : ٩٤ ,المدعدع :الملآن ,القليب :البئر قبل أن يطوى .
٤٠() القصائد السبع العلويات :٤٧ .
٤١ كنز العمال ١٢ : ٣٤٩ .
(٤٢) القصائد السبع العلويات: ٨٠، الروضة المختارة: ١٢٣.
(٤٣) ينظر: مناقب أبي طالب٢: ٢٦١.
(٤٤) القصائد السبع العلويات: ٩٧-٩٨.
(٤٥) القصائد السبع العلويات: ٣٢.